الفصل الثالث

إخوة الإيمان:

الإخوة أبناء الرجل الواحد من يجمعهم أب واحد والإيمان في إخوة الإيمان هو الأب وهو الحسب والنسب وهو الأصل الجامع، والملتقى الذي يلتقي عنده أهل الإيمان وهو المورد العذب الذي ارتشف منه المؤمنون وارتوى منه الصالحون وهام فيه المحبون وانغمس فيه أهل الأدران فأصبحوا أزهى وأطهر وأنقى وازداد محبه إلى الرحمن. إنه المنهل العذب الذي يكون بعون الله شفاء للعليل وصله للمدبر ورفعه للوضيع ولن يجد الإنسان أعذب من هذا المورد ولا أكرم من هذا الأصل ولا أعظم من هذا الملتقى، فهو منحه إلهية لا خطه بشريه عطاء رباني لا تدبير إنساني وهو ناتج عن استقرار الأيمان في القلب مصداقا لقوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠ ﴾ الحجرات: ١٠ مَلِك

مع أن المؤمنين لهم كثير من الصفات العظيمة والسمات الرائعة إلا أن الإخوة هي أبرز معلم في حياتهم وهى العلم الخفاق المرفرف في حياتهم وبدونها يفقدون أهم طابع يميزهم عن يرهم وأهم مظهر للأيمان في دنياهم ولهذا جاء القرآن يطلب من المؤمنين أن يكونوا يدا واحده وأن يلتفوا حول رأيه واحده هي راية هذا الدين وهو حين يطلب منهم هذا يمن عليهم بنعمة التآلف والتآخي إذ قد جمعهم على الوحدة بعد التفرق وعلى الإيمان بعد الكفر وعلى الحق بعد الباطل وعلى الهدى بعد الضلال.

وقد سما المؤمنون بهذا التآخي إلى صور فاقت أحلام الفلاسفة وأصحاب المدن الفاضلة وضربوا أروع الأمثلة في صدق هذه الإخوة حتى لقد وجدنا في مجتمع المدينة لونا من هذا الإخاء كان أعظم من إخاء النسب والرحم به كان الأنصار والمهاجرون يتكافلون ويتعاونون، واستحق الأنصار شهادة الفخار التي ما زالت تتردد في سمع الزمن وهى ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ ﴾ الحشر: ٩

إن الأنصار أحبوا المهاجرين إليهم حبا جما جعلهم يقدمون كل غال ونفيس في سبيل إخوانهم من المهاجرين حتى قال المهاجرون كما ورد في حديث أنس- رضي الله عنه-: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلا في كثير لقد كفونا ألمؤنه وأشركونا المهنأ حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله فقال رسول الله تطييبا لخاطرهم:" لا ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم ودعوتم لهم".([11])

---

[11]) صحيح المشكاة برقم(٣٠٢٦)

ومع كل ما قدمه الأنصار من نفس ومال كانوا لا يشعرون بأي ضيق أو حرج لأن ذلك كله نابع من محبة خالصة لله تعالى لقد آثر الأنصار إخوانهم المهاجرين بما عندهم رغم حاجتهم إليه إنه الإيثار ولو كان بالإنسان خصاصة لا لشيء إلا للحب في الله .

نعم هذه القلوب التي هيمن عليها الإيمان وجمعها رب العالمين على مائدته وأقامها على أتقى قلب رجل واحد إنما هي منحة إلهية، وتدبير رباني لا تستطيع الحصول عليه قوى الأرض مهما بذلت في سبيل ذلك من جهد ومن مال بل لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما استطاعت أن تحصل على هذا الذي يسره الله لرسوله وجعله من أسباب نصره دينه حتى لقد كان هؤلاء الأحبة مثلا حيا لحديث رسول الله- صلى الله عليه وسلم-حيث قال:" مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاظمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى".([١٢])

[١٢]) متفق عليه.